عصمة الأنبياء((عليهم السلام)) ومعجزاتهم- دراسة في التحليل العقلي

أ.م.د. أياد نعيم مجيد

كلية التربية / جامعة ميسان

Ayadalsaadi630@gmail.com

المستلخص :

تناولت الدراسة موضوع عصمة الأنبياء ومعجزاتهم، وأنّ الأنبياء بالأدلة العقلية اليقينية القاطعة لا يرتكبوا الذنوب الكبيرة ولا الصغيرة عمداً وسهواً، وهم مطهرون من جميعها، وأنّ ظواهر الآيات لا تتعارض مع البراهين العقلية المسلمة في عصمة الأنبياء. وأنّ عصمتهم منسجمة مع العدل الإلهي، وأنهم يقومون بتأدية أعمال صعبة ولا يقصرون في تأديتها لكسب أعلى الدرجات والمقامات، وهذه الأعمال مستحبة، وهي سبب ارتقاء أعلى الدرجات المعنوية. وأمّا بالنسبة لمعجزات الأنبياء فهي آية من آيات الله، وعلامة من علامات النبوة والاتصال بعالم الوحي، تهدف إلى إثبات حقانية الدين والمعارف التي يعلّمونها الأنبياء للآخرين، والدفاع عن مصداقيتهم. وهي عمل خارق للعادة، ما وراء القوانين الطبيعية، وغير قابل للتعليم والتعلم، وغير قابل للتكرار، ومطابق للأعمال العجيبة الغريبة التي يعجز الناس عن القيام بها في زمانه، وعملها يختلف اختلافاً جذرياً مع الأعمال السحرية التي يمكن تعلّمها، وأنها تنسجم انسجاماً كاملاً مع قانون العليّة الحاكم في الكون.

الكلمات الدالة: العصمة، المعجزة، التحليل العقلي.

The infallibility of the prophets ((peace be upon them)) and their miracles – a study in mental analysis

Abstract :

The study dealt with the subject of the infallibility of the prophets and their miracles, and that the prophets with conclusive certainty mental evidence do not commit sins big or small intentionally and inadvertently, and they are cleansed of all of them, and that the phenomena of the verses do not contradict with the Muslim mental proofs in the infallibility of the prophets, and that their infallibility is consistent with divine justice, and that they perform difficult works and do not fail to perform them to gain the highest degrees and prestige, and these works are desirable, and they are the reason for the elevation of the highest moral degrees. As for the miracles of the prophets, they are a sign of God, and a sign of prophecy and contact with the world of revelation, aimed at proving the truth of religion and the knowledge that the prophets teach others, and defending their credibility. It is an extraordinary work, beyond natural laws, not teachable and unlearnable, unrepeatable, identical to the strange wondrous works that people are unable to do in its time, and its work is radically different from the magical works that can be learned, and it is in perfect harmony with the law of the Supreme Ruling in the universe.

Keywords: infallibility, miracle, mental analysis.

المقدمة:

الأنبياء((عليهم السلام)) هم الخواص من أولياء الله تعالى أرسلهم لهداية الناس لما فيه تحقق مصالحهم وسعادتهم عن طريق استنهاض الاستعدادات الفطرية الكامنة في وجودهم، وإبعادهم عن الإفراط والتفريط في جميع أمور حياتهم. وبالإضافة إلى ذلك هم بما لديهم من أخلاق عالية وقدرات علمية أسوة حسنة وقدوة عملية للمجتمعات التي بعثوا لها من قبل الله تعالى، ليكونوا حجة عليهم يوم القيامة «وإن من أمة إلّا خلا فيها نذير»[١].

نذير»[١].

[١] – الآية ٢٤ من سورة فاطر.

وعلى طول مسيرة حياة البشر نجد أنّ الإنسان لم يكلف بأمور هي خارج فطرته الإنسانية التي فطر عليها، ولكن ابتعاد الناس عن خاصة الخواص الذين هم أولياء الله الصالحين (الأنبياء((عليهم السلام))) تنحرف الفطرة الإنسانية عن مسارها الصحيح الذي أراده الله سبحانه وتعالى لها، فتكون في اتجاه الإفراط أو التفريط. فالأنبياء((عليهم السلام)) هم الميزان والقسطاس والصراط المستقيم الذي يجيب أن لا نتجاوزه ولا ننحرف عنه، وذلك بالتعرّف عليهم والتقرّب منهم.

وهؤلاء الأنبياء((عليهم السلام)) يمتازون بصفات خاصة لا يمتاز بها غيرهم كالعلم اللّدنّي والعصمة والقدرة على الإعجاز. فعلمهم مسدد من قبل الله تعالى، وهم معصومون عن الخطأ، وعصمتهم هذه لا تخدش العدل الإلهي بل تنسجم معه كما سيتضح ذلك في البحث. وأما بالنسبة لموضوع قدرتهم على الإعجاز فيتضح من خلال ما يقومونه به بالإذن الإلهي من أعمال خارقة لإثبات إدعائهم وتصديق نبوتهم. فمعجزات الأنبياء((عليهم السلام)) على خلاف الأعمال البشرية؛ لأنّها عمل ما وراء العلل الطبيعية لإثبات ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوة، مع إعجاز الآخرين على القيام بنفس ما قام به صاحب المعجزة.

وفي بحثنا هذا سنتطرّق إن شاء الله تعالى لأهم صفات الأنبياء((عليهم السلام))، والمتمثلة بالعصمة والإعجاز. وسنعمل في المبحث الأول من هذا البحث على بيان الآراء المختلفة حول عصمة الأنبياء((عليهم السلام))، وإثبات العصمة بالدلائل العقلية العامة والخاصة، وبيان انسجام عصمة الأنبياء «عليهم السلام» مع العدالة الإلهية، والعمل على تفنيد الآراء التي من شأنها أن تخدش عصمتهم((عليهم السلام)). وفي المبحث الثاني سيكون الكلام حول معجزات الأنبياء((عليهم السلام))، والتي بلغ الاخبار عنها حد التواتر. وسنعمل على بيان أهداف المعجزة وخصائصها وامتيازها عن الكرامة، واختلافها مع السحر، وانسجامها مع قانون العلّية.

المبحث الأول : عصمة الأنبياء((عليهم السلام))

المدخل:

الأصل في معنى كلمة العصمة هو المعنى اللغوي بمعنى المنع كما يتضح من مادة (عصم) في لسان العرب[٢] وتاج العروس[٣]. وأمّا في مفردات ألفاظ القرآن العصم بمعنى الإمساك، والاعتصام هو الاستمساك[٤]. فالعصمة بمعنى المنع أو الإمساك تعني الحفظ والوقاية.

[٢]- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، ج١٢، ص٤٠٣، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

[٣]- تاج العروس في جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ج٨ ، ص ٣٩٨.

[٤]- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، ١٤١٢ هـ، ص٥٦٩.

وفي المعنى الاصطلاح، العصمة: لطف خفي يفعله الله تعالى في حق عبده المكلف، بحيث أنّ هذا العبد المكلف لا يترك طاعة (واجبة أو مستحبة) ولا يرتكب معصية (كبيرة أو صغيرة) عمداً أو سهواً مع أنّه مختار[٥]. والعصمة هذه من صفات الأنبياء((عليهم السلام))، وهي عبارة عن وجود أمر في المعصوم يصونه من الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ أو المعصية في تلقّي الوحي، وفي تبليغ الرسالة، والعصمة من جميع المعاصي، بمعنى تبرئة الله تعالى لساحة الأنبياء عن صدور المعصية عنهم، صغيرها وكبيرها عمداً أو سهواً[٦] . وفي بيان آخر، العصمة لطف يفعله اللّه تعالى بالمكلّف لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة وفعل المعصية مع إمكان وجوده، لحصوله على ملكة مانعة من الفجور والإقدام على المعاصي، وتحقق العلم بما في الطاعة من السعادة وفي المعصية من الشقاوة مع خوف المؤاخذة على ترك الأولى والفعل المنهي[٧].

الآراء المختلفة حول عصمة الأنبياء((عليهم السلام)):

الآراء المختلفة حول هذا الموضوع كما ياتي:

رأي المعتزلة: رأي المعتزلة في هذا الموضوع ينقسم إلى ثلاثة آراء[٨]، وهي كما يلي:

القسم الأول: يعتقد البعض من المعتزلة بأنّ الأنبياء عمداً وسهواً لا يرتكبوا الذنوب الكبيرة، وأمّا الذنوب الصغيرة فلا يرتكبونها عمداً، ولكن سهواً لا إشكال في ذلك.

القسم الثاني: يعتقد هذا القسم بأنّ الأنبياء عمداً وسهواً لا يرتكبوا الذنوب الكبيرة، وبالنسبة للذنوب الصغيرة يرتكبونها فقط على سبيل التأويل، يعني في تحليلهم العقلي لها أنها ليست ذنب فيقومون بها.

القسم الثالث: يعتقد هذا القسم من المعتزلة بأنّ الأنبياء عمداً وسهواً لا يرتكبوا الذنوب الكبيرة، أمّا الذنوب الصغيرة فعمداً وسهواً يرتكبونها، ولكن خيراتهم الكثيرة إلى حد أنّها تغطي على الذنوب الصغيرة فلا تخدش وجودهم؛ لأنّ خيراتهم الكثيرة تزيل الذنوب الصغيرة.

وأمّا الأشاعرة فمنعوا الكبائر مطلقا عمدا وسهوا، وجوّزوا الصغائر سهوا لا عمدا حال النبوة، وأمّا قبلها فجوّزوا جميع المعاصي عمدا و سهوا إلاّ الكفر[٩].

---

[٥] – معارج الفهم في شرح النظم، الحسن بن يوسف الحلي، الناشر: دليل ما ، قم المقدسة، ٢٠٠٧م، ص٤٦٣.

[٦] – آيات العقائد، آية الله السيد ابراهيم الحجازي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ١٤٢٤هـ، ص١٨٣– ١٨٤.

[٧] – كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلّامة الحسن بن يوسف الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، ١٤١٣هـ، ص٣٦٥.

[٨] – اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، جمال الدين مقداد بن عبدالله السيوري، مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية بقم، قم المقدسة، ٢٠٠١م، ص٢٤٥.

[٩] – المصدر نفسه.

وبالنسبة للإمامية: (إنّهم معصومون من جميع المعاصي كبائر وصغائر، عمدا وسهوا وخطأً وتأويلاً، قبل النبوة وبعدها من أوّل العمر إلى آخره، وهو الحقّ الصراح الذي يشهد به الشرع والعقل)[١٠]، (ذهبت الإمامية كافة إلى أنّ الأنبياء معصومون عن الصغائر والكبائر، منزهون عن المعاصي، قبل النبوة وبعدها على سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعة)[١١]، و(ذهبت الإمامية إلى أنّ الأنبياء معصومون قبل البعثة و بعدها عن الصغائر عمدا وسهوا، وعن الكبائر كذلك عمدا و سهوا. وخالفهم – أي وخالف الإمامية – في عصمة الأنبياء عن الصغائر والكبائر عمدا و سهوا جميع الفرق)[١٢].

وتعتقد الإمامية أنّ السبب في عصمة الأنبياء الكاملة تمتعهم بدرجة عالية من العلم اليقيني القطعي في معرفة حقائق الموجودات خاصة حقيقة الذنب والثواب والعقاب، فلا يداخلهم ريب ولا يعتريهم شك، بحيث تسقط دونهم الحجب فيرون رأى العين ويلمسوا لمس الحس تبعات المعاصي ولوازمها وآثارها. فيحصل لديهم ملكة يتغلبوا بوجودها على الشهوات، وتصدهم عن فعل المعاصي. وبالإضافة إلى ذلك حبهم المعبود يمنعهم عن معصيته، فالإنسان إذا عرف خالقه كمال المعرفة الميسورة واستغرق في شهود كماله وجماله، وجد في نفسه انجذاباً نحوه وتعلقاً خاصاً به على نحو لا يستبدل برضاه شيئاً، ويدفعه شوق المحبة إلى أن لا يبتغي سواه، ويصبح كل ما يخالف أمره ورضاه منفوراً لديه[١٣].

وأما الذين لم يجوزوا الكبائر، فقد اختلفوا فى الصغائر. واتفق الأكثرون على أنه لا يجوز منهم الإقدام على المعصية قصدا سواء كانت صغيرة أو كبيرة، بل يجوز صدورها منهم على أحد وجوه ثلاثة: أحدها: السهو والنسيان، والثانى: ترك الأولى، والثالث: اشتباه المنهى بالمباح[١٤]. وقد قال نصير الدين الطوسي في الردّ على كلام الفخر الرازي: (ترك الأولى ليس من المعاصى، فان الأولى وغير الأولى يشتركان في كونهما مباحين، وإنّما يعاتب على ترك الأولى، لا سبيل العقوبة، بل على سبيل الحثّ على فعل الأولى. وأيضا اشتباه المنهىّ بالمباح لا يجوز عليهم، لأنّه يدلّ على جهلهم بالمنهيّات، والجاهل بها كيف يحترز عنها. وأيضا يجب الاقتداء بهم، لقوله تعالى: «وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مٰا تَوَلّٰى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسٰاءَتْ مَصِيراً»[١٥]، والّذي يشتبه عليه المنهىّ بالمباح كيف يقتدى به)[١٦].

---

[١٠]– المصدر نفسه.

[١١] – عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م– ١٤٢٤ هـ، ص٥١.

[١٢] – اشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت، عبدالمطلب بن محمد الأعرجي، الناشر: المركز الدراسي للميراث المكتوب، طهران، سنة ٢٠٠٢م، ص٤٥٥.

[١٣] – محاضرات في الإلهيات، آية الله جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، سنة ١٤٢١ هـ، ص٤٠٦– ٤٠٨.

[١٤] – المحصل، محمد بن عمر الفخر الرازي، الناشر: دار الرازي، عمان، سنة ٦٠٦ هـ، ص٥٢٦.

[١٥]– الآية ١١٥ من سورة النساء

[١٦] – تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي، دار الأضواء،بيروت، ١٤٠٥ هـ، ص٣٧٢.

وقال البعض أنّ الأنبياء ارتكبوا بعض الأخطاء ليعلمونا دروساً إرشادية في كيفية طلب التوبة من الله تعالى (ليعلم الناس كيف التجأ الأنبياء مع جلالة أقدارهم وكثرة طاعاتهم إلى التضرع والاستغفار في أدنى زلة وأقل تقصير)[١٧].

ومنهم من قال: إنّ الخصائص الذاتية للبشر النسيان والسهو، فليس للأنبياء عصمة في حالات حياتهم الشخصية. فبعض الأخطاء الجزئية التي تنسب إلى الأنبياء مرتبطة بأمور السهو والنسيان في حالات حياتهم الشخصية، وغير مرتبطة باستقبال الوحي وتبليغه، وهذه الأمور لا تؤدي إلى خدش عصمة الأنبياء((عليهم السلام)) (وقال بعضهم: الشرط في عصمة الأنبياء اختصاصها بزمان دعوتهم، لا قبل ذلك، وقال بعضهم: اختصاصها في أدائها الرسالة فقط. أعنى أنّه يؤدّى ذلك و يصدق فيه و لا يكذب لا بالعمد و لا بالسهو. وأمّا في سائر الأحوال فيجوز عليه جميع ذلك)[١٨]. ولكن وجوب العصمة بعد البعثة، يقتضيها قبلها أيضاً؛ لأنّ سوابق الأشخاص وصحائف أعمالهم الماضية واللاحقة لها تأثير في قبول الناس كلامهم وإرشاداتهم.

الأدلة النقلية والعقلية على عصمة الأنبياء((عليهم السلام))

الأدلة النقلية: لو صدر عنهم الذنب للزم أمور كلها فاسدة بالدلائل القرآنية التالية[١٩]:

الأول: حرمة اتّباعهم. لكن النبيّ واجب الإتباع بالإجماع و بقوله تعالى:

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ»[٢٠] .

الثاني: ردّ شهادتهم. لو لم يكن معصوما لم يكن مقبول الشهادة، لكن اللازم باطل إجماعاً فكذا الملزوم. وبيان الملازمة: أنّ بتقدير عدم عصمته يجوز وقوع المعصية منه فيكون فاسقا، فلا تقبل شهادته لقوله تعالى «إِنْ جٰاءَكُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا»[٢١].

الثالث: وجوب منعهم و زجرهم، لعموم أدلّة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر. لكنّه منتف لاستلزامه إيذائهم، و هو محرّم بالإجماع، و بقوله تعالى: «اَلَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ»[٢٢].

الرابع: استحقاقهم العذاب و الطعن و اللعن و اللوم و الذم لدخولهم تحت قوله:

---

[١٧] – تفسير القرآن الكريم، صدرالدين الشيرازي، الناشر: بيدار (اليقظة)، قم المقدسة، ١٩٨٧م ، ج٣، ص١١٥

[١٨] تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي، المصدر السابق، ص ٤٥٥.

[١٩] –تفسير القرآن الكريم، صدر الدين الشيرازي، المصدر السابق، ج٣، ص١١٢–١١٥.

[٢٠] –الآية ٢٣ من سورة آل عمران.

[٢١] – الآية ٦ من سورة الحجرات.

[٢٢] – الآية ٥٧ من سورة الأحزاب.

«وَ مَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نٰارَ جَهَنَّمَ»[٢٣] و قوله: «أَلاٰ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰالِمِينَ»[٢٤] و قوله: «لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ»[٢٥] و قوله: «أَ تَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ»[٢٦] لكن كلّ ذلك منتف عنهم بالإجماع. و لكون وقوعها من أعظم المنفّرات.

الخامس: عدم نيلهم عهد النبوّة لقوله تعالى: «لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ»[٢٧] فإنّ المراد به النبوّة، أو الإمامة دونها.

السادس: كونهم غير مخلصين، لأنّ المذنب قد أغواه الشيطان و المخلص ليس كذلك، لقوله تعالى حكاية عن إبليس: «لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ»[٢٨] لكنّ اللازم منتف بالإجماع، وبقوله تعالى في إبراهيم و إسحاق و يعقوب: «إِنّٰا أَخْلَصْنٰاهُمْ بِخٰالِصَةٍ ذِكْرَى الدّٰارِ»[٢٩] وفي يوسف: «إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُخْلَصِينَ»[٣٠] .

السابع: كونهم حزب الشيطان و متّبعيه، و اللازم قطعيّ البطلان. وذلك لأنّه تعالى قسّم الخلق صنفين فقال في أحدهما، «وُلٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطٰانِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰانِ هُمُ الْخٰاسِرُونَ»[٣١] وقال في الآخر: «أُولٰئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»[٣٢] ولا خفاء في أنّ حزب الشيطان من يفعل ما يرتضيه – وهو المعصية.

الثامن: عدم كونهم مسارعين في الخيرات، وغير معدودين عند اللّه من المصطفين الأخيار، لصدور الذنب عنهم، لكن اللازم منتف لقوله تعالى في حقّ بعضهم: «يُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنٰا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيٰارِ»[٣٣]، وقال تعالى: «اَللّٰهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاٰئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النّٰاسِ»[٣٤] وقال: «إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَآلَ إِبْرٰاهِيمَ وَآلَ عِمْرٰانَ عَلَى الْعٰالَمِينَ»[٣٥] وقال في إبراهيم((ع)) «لَقَدِ اصْطَفَيْنٰاهُ فِي الدُّنْيٰا»[٣٦] وفي موسى((ع)): «إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّٰاسِ بِرِسٰالاٰتِي وَبِكَلاٰمِي»[٣٧] وقال تعالى: «وَاذْكُرْ عِبٰادَنٰا إِبْرٰاهِيمَ وَإِسْحٰاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي

---

[٢٣] – الآية ٢٣ من سورة الجن.
[٢٤] – الآية ١٨ من سورة هود.
[٢٥] – الآية ٢ من سورة الصف.
[٢٦] – الآية ٤٤ من سورة البقرة.
[٢٧] – الآية ١٢٤ من سورة البقرة.
[٢٨] – الآية ٣٩–٤٠ من سورة الحجر.
[٢٩] – الآية ٤٦ من سورة ص.
[٣٠] – الآية ٢٤ من سورة يوسف.
[٣١] – الآية ١٩ من سورة المجادلة.
[٣٢] – الآية ٢٢ من سورة المجادلة.
[٣٣] – الآية ٤٧ من سورة ص.
[٣٤] – الآية ٧٥ من سورة الحج.
[٣٥] – الآية ٣٣ من سورة آل عمران.
[٣٦] – الآية ١٣٠ من سورة البقرة.
[٣٧] – الآية ١٤٤ من سورة الأعراف.

الْأَيْدِي وَالْأَبْصٰارِ. إِنّٰا أَخْلَصْنٰاهُمْ بِخٰالِصَةٍ ذِكْرَى الدّٰارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنٰا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيٰارِ»[٣٨] فكلّ هذه الآيات دالّة على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيريّة، و ذلك ينافي صدور الذنب عنهم.

التاسع: إن النبيّ أفضل من الملك، والملائكة معصومون عن المعصية، لقوله تعالى: «لاٰ يَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ»[٣٩] وإذا كان الملك معصوما وجب أن يكون المساوي له في الفضيلة معصوماً أيضاً، فضلا عن الأفضل.

العاشر: قوله تعالى في حقّ إبراهيم: «إِنِّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً»[٤٠] والإمام من يؤتمّ به، ولو صدر عنهم الذنب لوجب الائتمام بهم في ذلك الذنب، وذلك تناقص.

الدلائل العقلية:

الدليل الأول[٤١]: التربية رهن عمل المربّي:

إنّ الهدف العام الذي بعث لأجله الأنبياء هو تزكية الناس وتربيتهم، ولا شك أنّ تأثير التربية بالعمل أشد وأعمق وآكد منها عن طريق الوعظ والإرشاد، وذلك أنّ التطابق بين مرحلتي القول والعمل هو العامل الرئيسي في اذعان الآخرينبأحقيّة تعاليم المصلح والمربي. وهذا الأصل التربوي يجرنا إلى القول بأنّ التربية المتوخاة من بعثة الأنبياء لا تحصل إلّا بمطابقة أعمالهم لأقوالهم، وهذا كما يوجب العصمة بعد البعثة، يقتضيها قبلها أيضاً؛ لأنّ لسوابق الأشخاص وصحائف أعمالهم الماضية تأثير في قبول الناس كلامهم وارشاداتهم.

الدليل الثاني[٤٢]:

لو جاز على الأنبياء شيء من المعصية الكبيرة أو الصغيرة حال البعثة أو قبلها وبعدها في جميع مجالات الحياة للزم تنفر الناس والابتعاد عنهم وعدم قبول أقوالهم وأفعالهم، مما يؤدي إلى نقض الغرض من البعثة، ونقض الغرض فعل قبيح، والقبيح لا يصدر عن الله الحكيم المتعال.

النتيجة: الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين.

الدليل الثالث[٤٣]: إذا ارتكب الأنبياء الذنب، فالمسألة لا تخرج عن حالتين:

---

[٣٨] – الآية ٤٥–٤٧ من سورة ص.

[٣٩] – الآية ٦ من سورة التحريم.

[٤٠] – الآية ١٢٤ من سورة البقرة.

[٤١] – محاضرات في الإلهيات، آية الله الشيخ جعفر السبحاني، المصدر السابق ، ص٤١٢.

[٤٢] – آيات العقائد، المصدر السابق، ص ١٨٥.

[٤٣] – عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنة ٢٠٠٣م– ١٤٢٤ هـ ، ص٥١–٥٢.

الحالة الأولى: أمّا أن نتبعهم في ما ارتكبوا من ذنب؛ لأنّ إتباع الأنبياء واجب على الجميع؛ لأنهم مرسلون من قبل الله تعالى. والإتباع لهم في الذنب يعني أنّ الله يأمر بالفعل القبيح، والأمر لفعل القبيح قبيح، والقبيح محال على الله الحكيم المتعال.

الحالة الثانية: أو أن نترك الأنبياء لارتكابهم الذنب، فيكون إرسالهم من قبل الله تعالى عبث، والعبث فعل قبيح، والقبيح لا يصدر عن الله الحكيم المتعال.

النتيجة: الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين.

الدليل الرابع[٤٤]: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على جميع المسلمين، وعندما يرتكب الأنبياء الذنب، فواجب على المسلمين أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحقهم. وأحياناً يستلزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتماد القوة التي يمكن لها أن تؤذي الطرف المرتكب للذنب، مما يؤدي إلى إيذاء الأنبياء، وإيذاء الأنبياء((عليهم السلام)) حرام بنص القرآن[٤٥].

النتيجة: يجب أن يكون الأنبياء معصومين؛ لتجنب إيذائهم، وتجنب الحرام.

الدليل الخامس[٤٦]: صدور المعاصي عنهم يوجب سقوط هيبتهم عن القلوب، وانحطاط رتبتهم في أعين الناس، فيؤدّي إلى النفرة عنهم، وعدم الإنقياد لهم، ويلزم منه إفساد الخلائق وترك استصلاحهم، وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة، وهذا معنى قوله: لئلاّ تنفر عقول الخلق عنهم

النتيجة: يجب أن يكون الأنبياء معصومين؛ لتجنب نفرة الناس وعدم انقيادهم لهم.

مؤهلات العصمة[٤٧]:

١-أن يكون لنفسه وبدنه خاصية تقتضي مَلَكة مانعة من الفجور.
٢- أن يحصل له علم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.
٣- تأكيد العلوم الموصلة لله تعالى بتتابع الوحي والإلهام من الله تعالى.
٤- مؤاخذته على ترك الأولى، فلا يترك مهملاً بل يضيق عليه الأمر في غير الواجب من الأمور الحسنة.

انسجام عصمة الأنبياء مع العدالة الإلهية

[٤٤] – كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، المصدر السابق، ص ٣٤٩.

[٤٥]-الآية ٥٧ من سورة الأحزاب. والآية ٦٩ من سورة الأحزاب

[٤٦] -شرح الفصول النصيرية، عبدالوهاب الأسترآبادي، الناشر: العتبة الحسينية المقدسة (قسم الشؤون الفكرية والثقافية)، كربلاء، ١٤٣٣هـ ، ص٢٢٦-٢٢٧.

[٤٧] – كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، المصدر السابق، ص٣٦٥.

السؤال الذي طالما يطرح، كيف يُعصَم الأنبياء دون خدش العدالة الإلهية؟ وللجواب على هذا السؤال نقول:

أ-الأنبياء فطرةً من الولادة كانوا معصومين، أي أنّهم خلقوا بصورة خالية من أرضية الذنب، فكانت خلقتهم مختلفة عن خلقة بقية البشر. وهذا الكلام ما لا ينسجم مع العدالة الإلهية، فهو جواب مردود وغير معتبر؛ لأنه يخدش العدالة الإلهية.

ب- الأنبياء في خلقتهم لا يختلفوا مع خلقة سائر البشر، وفي ولادتهم كبقية الناس يولدون بفطرة سليمة واستعدادات متفاوتة، وكالآخرين في القدرة على ارتكاب الخطايا. ولكن البيئة التي يولدون فيها بيئة سليمة، وتربيتهم بعيدة كل البعد عن الخطايا والذنوب، ومن جانب آخر يسعون باختيارهم إلى تجنب الخطايا التي تشخصها عقولهم.

وكما نعلم أنّ هناك ارتباط وثيق ما بين العمل وسلامة النفس، وكلما كان العمل صحيح وبعيد من الذنوب والخطايا كانت النفس أكثر سلامة، وكلما كانت النفس سليمة خالية من الذنوب والأحقاد والنفاق والكذب كان الاندفاع نحو العمل الصحيح أكثر وأكثر. وطبيعة الفيض الإلهي يشمل أصحاب هذا الوجود؛ لأنّ سعيهم الحثيث نحو الخير والفضيلة أرضية مناسبة للمدد الإلهي. وبالتدريج يحصلوا على الإيمان واليقين حتى يصلوا إلى درجة العصمة، وبعد إدراك رسالة النبوة ومعرفة الحقائق والمعارف الإلهية والعمل بها يصل الأنبياء إلى أعلى درجات العصمة. وهذا الأمر أبداً لا يخدش العدالة الإلهية؛ لأنّ طي درجات العصمة من قبل الأنبياء((عليهم السلام)) قد كان باختيارهم.

بالإضافة إلى ذلك أن البيئة التي ولد بها الأنبياء كانت بيئة سليمة ومناسبة للوصول إلى درجة العصمة، وهذا الأمر لا يخدش العدالة الإلهية ابداً؛ لأنّ الآخرين بالسلب والإيجاب إلى حد ما مسؤولون عن أعمال الإنسان. فإذا كانت عائلة شخص ما ظالمة ولم يتمكن أبنها من الرقي نحو الفضيلة والكمال فليس الذنب ذنب الله بل يجب على الابن مراجعة الأسباب التي تكمن وراء عدم وصوله إلى ما كان يبتغيه. وعلى سبيل المثال ولادة نبينا العظيم محمد((ص)) قد كانت في عائلة موحدة متجنبة الظلم والخطايا والآثام التي كانت سائدة في مكة آنذاك. ومن جانب آخر كان النبي العظيم محمد((ص)) قبل البعثة يتألم لما يراه من ظلم وشرك (عبادة الأصنام) في مكة فيعتكف بعيداً عنهم في غار حراء ليتفكر في آلاء الله ويتعبد على طريقة التوحيد الإبراهيمي الحنيف، وهذا ما أظهر لياقته المناسبة لكسب مقام النبوة وأعلى درجات العصمة. ولو دققنا وتمعنا بأخلاقيات المجتمع آنذاك فلم نجد شخصية كشخصية الرسول الكريم محمد((ص)) مناسبة لمقام النبوة والعصمة.

والعصمة هذه لا تضر باختيار الإنسان؛ لأنّ الأنبياء((عليهم السلام)) لديهم معرفة ببواطن وحقائق الأشياء في جميع المجالات، فمثلاً أكل مال اليتيم واضح بالعلم الحضوري والشهودي للأنبياء بأنة أكل للنار، وكذلك الزنا بأنها فاحشة وعاقبتها سوء السبيل. ومن لديه العلم الحضوري والشهودي بحقائق الأمور لا يعمل المعصية

أبداً. وفي هذا الخصوص يقول آية الله جعفر السبحاني: (المعصوم قادر على اقتراف المعاصي بمقتضى ما أعطي من القدرة والحرية، غير أنّ تقواه العالية وعلمه بآثار المعاصي واستشعاره عظمة الخالق يصده عن ذلك، فهو كالوالد العطوف الذي لا يقدم على ذبح ولده ولو أعطي ملء الأرض ذهباً، وإن كان مع ذلك قادر على قطع وتينه كما يقطع وتين عدوه)[٤٨].

القضايا الموهمة بمعصية الأنبياء((عليهم السلام))[٤٩]

١-«وعصى آدمُ ربَّه فغوى»[٥٠]

قال الإمام الرضا((ع)): إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «وما يعلمُ تأويله إلّا اللهُ والراسخونَ في العلم»[٥١]، وأما قوله «وعصى آدمُ ربَّه فغوى» فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنّة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عزّ وجلّ، فلما أهبط إلى الأرض وجُعل حجة وخليفة عُصم بقوله عزّ وجلّ «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»[٥٢]

٢-«وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدِرَ عليه»[٥٣]

قال الإمام الرضا((ع)): إنّما ظنّ أنّ الله عزّ وجلّ لا يضيّق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ «وأما إذا ما ابتلاه فقَدَرَ عليه رزقه»[٥٤] أي ضيق عليه، ولو ظنّ أنّ الله عزّ وجلّ لا يقدر عليه لكان قد كفر.

٣-«ولقد همّت به وهمّ بها»[٥٥]

قال الإمام الرضا((ع)): إنّها همت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته، فصرف الله عزّ وجلّ عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله «كذلك لنصرف عنه السُّوء والفحشاء»[٥٦] يعني القتل والزنا.

٤-«وظنّ داودُ أنّما فتناه»[٥٧]

---

[٤٨] – محاضرات في الإلهيات، آية الله جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص ٤١٢.

[٤٩] – آيات العقائد، المصدر السابق، ص ١٨٨- ١٩٠.

[٥٠] – الآية ١٢١ من سورة طه.

[٥١] –الآية ٧ من سورة آل عمران.

[٥٢] –الآية ٣٣ من سورة آل عمران.

[٥٣] – الآية ٨٧ من سورة الأنبياء.

[٥٤] – الآية ١٦ من سورة الفجر.

[٥٥] – الآية ٢٤ من سورة يوسف.

[٥٦] – الآية ٢٤ من سورة يوسف

[٥٧] – الآية ٢٤ من سورة ص

قال الإمام الرضا ((ع)): ظنّ داود أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله إليه الملكين فتسوّرا المحراب، فقالا: «خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تُشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فقال أكفلنِيها وعزنني في الخطاب»[٥٨]، فعجّل داود((ع)) على المدّعى عليه فقال: «لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه»[٥٩]، فلم يسأل المدعي البينة على ذلك، ولم يُقبل على المدّعي عليه فيقول: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة حكمه، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ يقول: «يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحق»[٦٠]. وأما قصته مع زوجة أوريا، فإنّ المرأة في أيام داود كانت إذا مات زوجها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل زوجها هو داود.

٥-«فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان»[٦١]

قال الإمام الرضا((ع)) :إنّ موسى عليه السلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فقضى على العدو بحكم الله فوكزه فمات، قال: هذا من عمل الشيطان يعنى الاقتتال الذي وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله، «انه»[٦٢] يعنى الشيطان «عدو مضل مبين»[٦٣].

ومعنى قول موسى((ع)): «ربّ إنى ظلمتُ نفسي فاغفر لي»[٦٤]؟ يقول الإمام الرضا((ع)): وضعت نفسي غير موضعها بدخول هذه المدينة ((فاغفر لي)) أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني «فغفر له انه هو الغفور الرحيم»[٦٥]. قال موسى: «رب بما أنعمت على»[٦٦] من القوة حتى قتلت رجلا بوكزة «فلن أكون ظهيرا للمجرمين»[٦٧] بل أجاهدهم بهذه القوة حتى ترضى.

٦-«وتخفي في نفسِك ما الله مُبديه وتخشى الناسَ الله أحق أن تخشاهُ»[٦٨]

قال الإمام الرضا((ع))[٦٩]: إنّ الله عزّ وجلّ عرّف نبيه أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء زوجاته في الآخرة، وأنّهنّ أمهات المؤمنين، وأحد من سمّي له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى

---

[٥٨] – الآية ٢٢- ٢٣ من سورة ص.

[٥٩] – الآية ٢٤ من سورة ص.

[٦٠] – الآية ٢٦ من سورة ص.

[٦١] – الآية ١٥ من سورة القصص.

[٦٢] – الآية ١٥ من سورة القصص.

[٦٣] – الآية ١٥ من سورة القصص.

[٦٤] – الآية ١٦ من سورة القصص.

[٦٥] – الآية ١٦ من سورة القصص.

[٦٦] – الآية ١٧ من سورة القصص.

[٦٧] – الآية ١٧ من سورة القصص.

[٦٨] – الآية٣٧ من سورة الأحزاب.

الرسول((ص)) اسمها في نفسه ولم يبدِه لكيلا يقول المنافقون: إنّه قال في امرأةٍ في بيت رجل: إنّها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين، فقال الله عزّ وجلّ ((والله أحق أن تخشاه)) يعني في نفسك، وإنّ الله عزّ وجلّ ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم وزينب من رسول الله((ص)) وفاطمة من علي((ع)).

٧- وفي حقّ نبيّنا((ص)) قال الإمام الرضا((ع)) في جواب المأمون[٧٠] عن قوله تعالى «لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّر»[٧١]: إنّه لم يكن أحد عند مشركي مكّة أعظم ذنبا من رسول اللّه((ص))، لأنّهم كانوا يعبدون من دون اللّه ثلاثمائة و ستّين صنما، فلمّا جاءهم((ص)) بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: «أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ . وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ يُرادُ . ما سَمِعْنا بِهٰذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هٰذا إِلاَّ اخْتِلاٰقٌ»[٧٢] فلمّا فتح اللّه على نبيّه((ص)) مكّة قال: يا محمد «إِنّٰا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ»[٧٣] عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد اللّه فيما تقدّم وما تأخّر.

وبالجملة – لا دلالة على العصيان والميل عن طريق الحقّ. ولذا قال تعالى: «ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوىٰ»[٧٤].

---

[٦٩] – تفسير الميزان، العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات ذوي القربى ، قم المقدسة، ١٤٣٠ هـ ، ج١٥ و ج١٦، تفسير سورة الأحزاب، ص٥١٣

[٧٠] – تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٣

[٧١] – تفسير القرآن الكريم، المصدر السابق، ص ١٢٢-١٢٣.

[٧٢] – الآية ٥-٧ من سورة ص.

[٧٣] – الآية ١-٢ من سورة الفتح.

[٧٤] – الآية ٢ من سورة النجم.

المبحث الثاني: المعجزة

المدخل:

إنّ الإعجاز في اللغة بمعنى أمر يعجز الناس عن الإتيان بمثله، وأما في الاصطلاح فالمعجزة ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى[٧٥]، مع إعجاز الآخرين على القيام بنفس ما قام به صاحب المعجزة، ويقوم بها النبي بالإذن الإلهي لإثبات إدعائه وتصديق نبوته[٧٦]. فهي على خلاف الأعمال البشرية العجيبة الغريبة كالسحر والشعوذة. فالمعجزة عمل ما وراء العلوم والقوانين الطبيعية، بينما جميع الأعمال البشرية وجميع ما يقوم به الإنسان من أعمال تدخل في مجال العلوم الطبيعية والقوانين المادية، رغم أننا في بعض الموارد لا نعلم بتلك القوانين الطبيعية. وعليه فإن السحر (الأعمال العجيبة الغريبة التي يقوم بها الناس) ليس خارق للعادة، وهو كالتحولات الكيميائية والفيزيائية من سنح العلوم البشرية الطبيعية، وله تأثير، ولكن لا يصل إلى درجة قلب الحقائق كما هو شأن المعجزة[٧٧]. والمعجزة وسيلة دفاع عن مقام النبوة وليست وسيلة لإثبات النبوة، وهذا العمل لا يقوم به النبي في بداية دعوته لإثبات نبوته، بل يقوم به عندما يضطر للدفاع عن نبوته وإثبات حقانيته أمام المنكرين والمشككين. فالمعجزة آية من الآيات الإلهية، وعلامة من علامات النبوة والاتصال بعالم الوحي، وهي لا تدل على النبوة ابتداء بل تدل على صدق الدعوى فإن تضمنت الدعوى النبوة دلت المعجزة على تصديق المدعي في دعواه و يستلزم ذلك ثبوت النبوة[٧٨].

هدف المعجزة:

بالنسبة إلى هدف المعجزة هناك رأيان:

الرأي الأول: المعجزة وسيلة لإثبات حقانية الدين والمعارف التي يعلّمها الأنبياء للآخرين، وبوسيلة المعجزة يدافع الأنبياء((عليهم السلام)) عن صحة ما يعلمونه للناس (وقد سبق أن المعجزة تقتضي الصدق في دعوى النبوة وما يتعلق بها من التبليغ، وشرعية الأحكام)[٧٩]

الرأي الثاني: المعجزة وسيلة للدفاع عن مصداقية الأنبياء، فهم مقابل المنكرين والمشككين لنبوتهم يقوموا بطلب المعجزة من الله تعالى لإثبات صدق إدعائهم وإعجاز الآخرين؛ لأنّ غيرهم عاجز عن هكذا أعمال، وبهذه الوسيلة يدافع الأنبياء((عليهم السلام)) عن مصداقيتهم (ظهور المعجزات للرسل واجب؛ ليكون طريقا إلى تصديقهم، لأنّا نعلم بالضرورة أنّه إذا قام إنسان ذو أخلاق مرضيّة عند الخواص والعوام، وادّعى أنّه مبعوث من

---

[٧٥] – تجريد الإعتقاد، نصير الدين طوسى، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، سنة ١٤٠٧ هـ، ص٢١٤.

[٧٦] – كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، المصدر السابق، ص٣٥٠.

[٧٧] – الأثر الفلسفي في التفسير، جاسم بكار محمود الحاج، الناشر: دار النوادر، دمشق، سنة ١٤٢٩ هـ، ص٧٤٠.

[٧٨] – كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، المصدر السابق، ص٣٥٢.

[٧٩] – شرح المقاصد، مسعود بن عمر التفتازاني، الناشر: الشريف الرضي، قم المقدسة، سنة ١٤١٢ هـ، ج٥، ص ٥٠.

عند اللّه سبحانه، وقال: الدليل على صدق قولي أنّ اللّه يظهر على يديّ أمرا خارقا للعادة، وأظهر، فقال: من لم يصدّقني فليأت بمثل ما ظهر على يدي، وعجز من عداه عن ذلك، حصل للعقل يقين تامّ بأنّه صادق)[٨٠].

خصائص المعجزة:

المعجزة فعل فاعل مختار خارق للعادة، أي أنّها خارج القوانين الطبيعية (المعجزة هي الظاهرة المخالفة للنظام الطبيعي المألوف، إلاّ إن هذه الظاهرة لا تسمّى عند بعضهم معجزة إلاّ إذا كانت فعل فاعل مختار، قصد بها إظهار أمر خارق للعادة يعجز الإنسان عن الإتيان بمثله)[٨١]. وهذه المعجزة يجب أن تتزامن مع ادعاء النبي، ولا بد أن يكون لها هدف، ويجب أن تتطابق مع إرادة ووعد النبي، أي أنّ ما وعد به النبي يتحقق بواسطة المعجزة، ويجب أن تتزامن مع التحدي وفي مقابل الجميع (ولأجل هذا وجدنا أنّ معجزة كل نبي تناسب ما يشتهر في عصره من العلوم والفنون)[٨٢]. وإذا تم ذلك لشخص من ظهور المعجز الخارق للعادة، وادعى مع ذلك النبوة والرسالة، يكون حينئذٍ موضعاً لتصديق الناس بدعواه، والإيمان برسالته، والخضوع لقوله وأمره، فيؤمن به من يؤمن ويكفر به من يكفر[٨٣] . وبالإضافة إلى ذلك المعجزة يجب أن تكون عمل ما ورائي وغير بشري، وغير قابلة للتعليم والتعلم، بحيث أنّ صاحبها لا يمتلك إجازة تعليمها، فهي منحصرة بالفرد، وغير قابلة للتكرار، وغير خارجة عن أصل قانون العلية الحاكم في الكون[٨٤]. ويجب أن تكون المعجزة مطابقة للأعمال العجيبة الغريبة التي يعجز الناس عن القيام بها في زمان صاحب المعجزة. فلا بد من السنخية بين المعجزة وزمانها[٨٥].

الفرق ما بين المعجزات والكرامات والسحر

المعجزة: عمل خاص بالأنبياء((عليهم السلام)) لثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوة، وهي ليست من باب إثبات النبوة، بل هي طريق لمعرفة صدق النبي وصدق معارفه. بينما الكرامة فهي عمل خارق للعادة يقوم به الإنسان الصالح التقي من غير الأنبياء، بحيث أنّ صدور هكذا عمل يؤدي إلى تعظيم وجود صاحبه مع أن هذا العمل ليس من باب المعجزة، وخالي من إدعاء النبوة. وأما بالنسبة للإرهاصات (قسم من الخوارق، وهو الخارق الذي يظهر من النبي قبل البعثة، سمّي به لأنّ الإرهاص في اللغة بناء البيت، فكأنه بناء بيت إثبات النبوة)[٨٦] فهي مقدمات لظهور الأنبياء((عليهم السلام)) وتأكيد كراماتهم. وأما

---

[٨٠] – شرح الفصول النصيرية، عبدالوهاب الأسترآبادي، المصدر السابق، ص٢٢٩.

[٨١] – المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية، جميل صليبيا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، سنة١٤١٤ هـ ، ج٢، ص٣٩١.

[٨٢] – بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، السيد محسن الخرازي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤٢٣ هـ، ج١، ص٢٤٥.

[٨٣] – بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٨.

[٨٤] – المصدر نفسه، ص ٢٤٢– ٢٤٣

[٨٥] – بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٨.

[٨٦] – موسوعة كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن أعلى بن علي التهاوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ١٩٩٦م ج١، ص ١٤١.

السحر فهو كل أمر خفي سببه ويخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع لصرف الشيء عن حقيقته إلى غيره[٨٧].

والفرق بين هذه الخوارق من حيث الإنسان صاحب الفعل الخارق، إن كان هذا الإنسان متحليا بالفضائل، مدعيا للنبوة، فإن الفعل الخارق الحاصل على يده يكون معجزة، وإن كان متحليا بالفضائل فقط، فيكون الفعل الخارق كرامة، وإن كان خبيث النفس، متصفا بالرذائل، فيكون الفعل الخارق سحراً. فالمعجزة مقترنة بدعوى النبوة والتحدي، والكرامة مقترنة بصدق الإنسان واستقامته، والسحر مقترن بخبث النفس و فعل الشر. وفي هذا الشأن يقول ابن سينا: (فالذي يقع له هذا في جبلة النفس، ثم يكون خيّراً رشيداً مزكياً لنفسه، فهو ذو معجزة من الأنبياء، أو ذو كرامة من الأولياء والذي يقع له هذا، ثم يكون شريراً، ويستعمله في الشر، فهو الساحر الخبيث)[٨٨].

فالكرامات والمعجزات وإن اشتركا في كون كل واحد منهما أمراً خارقاً للعادة و لكن تمتاز المعجزة عن الكرامة من وجوه[٨٩]، وهي كما يلي:

الأول: أنّ الدعوى شرط في النبوّة وليست شرطا في الكرامة.

الثاني: أنّ الحاصل في النبوّة ادّعاء النبوّة، وفي الكرامة إمّا أن لا تحصل الدعوى أو إن حصلت لكنّها لا تكون دعوى النبوّة بل دعوى الولاية.

الثالث: أنّ المعجزة لا تكون لها معارضة و الكرامة قد تكون لها معارضة.

وتختلف المعجزة عن السحر[٩٠] بما يلي:

أولاً: تحقق المعجزة مطابق لإدعاء النبوة، بينما في السحر لا يوجد هكذا إدعاء.

ثانياً: في المعجزة دعوة إلى الحق، بينما في السحر دعوة إلى الشر والباطل

ثالثاً: إن نفس الساحر تكون خبيثة، وأن المراد من فعل السحر هو إنزال الضرر بمن يريده الساحر، وأما نفس النبي فتتميز بالصدق والاستقامة، وأن المراد من المعجزات تأييد الحق وتصديقه، فتكون المعجزة حجة لتأكيد النبوة.

---

[٨٧] – شرح أصول الكافي، صدرالدين الشيرازي، الناشر، وزارة الثقافة والتعليم العالي (مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، طهران، سنة ١٩٨٧م، ج١، ص٥٤٦.

[٨٨] – الإشارات و التنبيهات، الشيخ أبوعلي حسين بن عبدالله بن سينا، نشر البلاغة قم المقدسة، سنة١٩٩٦م، ج٣، ص٤١٧.

[٨٩] – موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ٢٠٠١م، ص ٧٣٠.

[٩٠] – الأثر الفلسفي في التفسير، المصدر السابق، ص ٧٣٦ –٧٣٨.

رابعاً: إن السحر فن وعلم وصنعة، يقوم الساحر به متى شاء، ويمكن تعلمه بعلم وتحصيله بكسب، ودليل ذلك قوله تعالى: «وَلٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّٰاسَ السِّحْرَ»[٩١]، وأما المعجزة فليست كذلك، فلا تتعلم بعلم ولا تتحصل بكسب، وليس باستطاعة النبي فعل الأمر الخارق متى أراد، ودليل ذلك قوله تعالى: «وَمٰا كٰانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ»[٩٢]. وقوله تعالى: «وَقٰالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيٰاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيٰاتُ عِنْدَ اللّٰهِ وَإِنَّمٰا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ»[٩٣]. فلا يقدر على الإتيان بالآيات غير اللّه تعالى، وعندما طلب من النبي((ص)) بعض الآيات، أمره اللّه تعالى أن يقول لهم: «قُلْ سُبْحٰانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاّٰ بَشَراً رَسُولاً»[٩٤]، أي هل أنا إلا عبد من عبيده، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، و إنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد اللّه الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره.

خامساً: إن فعل السحر حيلة وشعوذة وتخييل وتمويه وصناعة علمية خفية خبيثة، يتقنها بعض الناس، و يجهلها الأكثرون، فيسمون العمل بهاً سحراً. والساحر لايصل بسحره إلى درجة تغيير الحقائق، فيقلب الإنسان حماراً، والحمار إنساناً، ودليل ذلك قوله تعالى: «قٰالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذٰا حِبٰالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهٰا تَسْعىٰ»[٩٥]. وليس هذا إنكارا للسحر، بل إنكار أن تكون له حقيقة كحقيقة المعجزة، أما فعل المعجزة ففيه قلب للحقائق، مثال ذلك قوله تعالى في حق عيسى((ع)): «وَرَسُولاً إِلىٰ بَنِي إِسْرٰائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّٰهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتىٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ»[٩٦]. فمعجزات الأنبياء((عليهم السلام)) هي على حقائقها، وبواطنها كظواهرها، وكلّما تأملتها ازددت بصيرة في صحتها، ولو جهد الخلق كلهم على مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ظهر عجزهم عنها، ومخاريق السحرة وتخييلاتهم إنما هي ضرب من الحيلة والتمويه، لإظهار أمور لا حقيقة لها.

المعجزة وقانون العليّة:

إنّ المعجزة لا تعد نقضاً لقانون العلّية العام، فإنّ المنفي في مورد المعجزات هو العلل المادية المتعارفة التي أنست بها الأذهان، ووقف عليها العالم الطبيعي واعتاد الناس على مشاهدتها في حياتهم. ولكن لا يمتنع أن يكون للمعجزة علّة أخرى لم يشاهدها الناس من قبل، ولم يعرفها العلم، ولم تقف عليها التجربة[٩٧]. وعليه فالمعجزة لا تعتبر خارجة عن أصل العليّة إذا اعتبرت العلل المعنوية من ضمن العلل، ومشمولة بتلك القاعدة، كما أنّ العلل الطبيعية لا تنحصر في العلل الموجودة المكشوفة، لإمكان اكتشاف علل طبيعية أخرى غير

[٩١] – الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

[٩٢] سورة الرعد: الآية: ٣٨.

[٩٣] – الآية ٥٠ من سورة العنكبوت.

[٩٤] – الآية ٩٣ من سورة الاسراء.

[٩٥] – الآية ٦٦ من سورة طه.

[٩٦] – الآية ٤٩ من سورة آل عمران.

[٩٧] – محاضرات في الإلهيات، آية الله جعفر السبحاني، المصدر السابق، ص٣٨٠.

مكتشفة. فالمعجزة معلول من المعاليل، ولها علة معنوية، وهذه العلة المعنوية قد تستخدم في المعجزة بواسطة الأسباب الطبيعية كما في دعاء النبي((ص)) في حق معاند فسلط الله عليه سبعاً فأكله، وقد يكتفي بالعلل المعنوية كإحياء الموتى أو إنبات شجر مثمر في دقائق قليلة. فليست المعجزة بلا سبب وعلّة، حتى يقال: بأنّه نقض لأصل العليّة. ومما ذكر يظهر ما في مزعمة الماديين حول المعجزة حيث تخيلوا أنّها تنافي أصل العليّة[٩٨]

وإذا فُسّر قانون العليّة على أساس أصالة الماهية، وحدد بالعليّة الفيزيائية الطبيعية، فالمعجزة لا تنسجم معها أبداً. وعليه عجز المتكلمون القدامى عن حلّ مسألة المعجزة، وكذلك الأمر بالنسبة لأهل الغرب الذين نظروا إلى قانون العليّة على أساس إدراكهم الفيزيائي. ودليلهم الذي اعتمدوه هو أنّ القوانين الطبيعية والعليّة الطبيعية تقبل التكرار، بينما المعجزة لا تقبل التكرار، فهي غير منسجمة مع قانون العليّة.

وأمّا إذا فُسّر قانون العليّة على أساس أصالة الوجود كما هو الحال لفلسفة ملاصدرا (فقد تبين أولا أن هناك علة ومعلولا، وثانيا أن كل ممكن فهو معلول، وثالثا أن العلية والمعلولية رابطة وجودية بين المعلول وعلته، وأن هذه الرابطة دائرة بين وجود المعلول ووجود العلة. وتنقسم العلة إلى تامة وناقصة، فالعلة التامة هي التي تشتمل على جميع ما يتوقف عليه المعلول بحيث لا يبقى للمعلول معها إلا أن يتحقق، والعلة الناقصة هي التي تشتمل على بعض ما يتوقف عليه المعلول في تحققه لا على جميعه. وتفترقان بأن العلة التامة يلزم من وجودها وجود المعلول، ومن عدمها عدمه، والعلة الناقصة لا يلزم من وجودها وجود المعلول، لكن يلزم من عدمها عدمه، لمكان توقف المعلول عليها وعلى غيرها. وليعلم أن عدم العلة سواء كانت علة تامة أو ناقصة، علة تامة لعدم المعلول)[٩٩] فالمعجزة تنسجم مع قانون العليّة بالكامل.

فطبقاً لفلسفة ملاصدرا القائلة بأصالة الوجود أنّ معنى العليّة فيها أنّ العلّة تعطي الوجود للمعلول، فما يحتاجه المعلول هو الوجود، وهذا يعني أنّ ما ينتقل في مسألة العليّة هو الوجود من العلّة إلى المعلول. وعلى هذا الأساس فإنّ العلّة قبل أن تعطي الوجود يجب أن تكون موجودة، وسلسلة العلل يجب أن تنتهي بموجود غير معلول وغير محتاج لأخذ الوجود تجنباً للتسلسل، لأنّ التسلسل محال وباطل. وهذا الموجود غير المعلول وغير المحتاج هو علّة العلل الذي هو الواجب تعالى الموجود بالذات، وما سواه موجودات إمكانية، أي أنّها ممكنة الوجود بالذات. ومعلوم أنّ معنى ممكن الوجود أنّه محتاج إلى علّة تعطيه الوجود ليظهر في عالَم الوجود، ولأنّ المعجزة في حد ذاتها ممكنة الوجود، فهي بحاجة إلى علّة تعطيها الوجود لتظهر في عالَم الوجود. وواضح أنّ العلّة لا بد أن تنتهي بموجود غير ممكن الوجود، وهو الواجب تعالى الموجود بالذات، وهو الذي يعطي الوجود للمعجزة فتظهر في عالَم الوجود.

---

[٩٨] – بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٣

[٩٩]– نهاية الحكمة، محمد حسين طباطبائى ، ،الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، سنة ١٤١٦ هـ، ص١٥٧– ١٥٨

وخلاصة الكلام أنّ المعجزة كبقية الموجودات الإمكانية تحتاج في تحققها إلى قانون العليّة، وبدون هذا القانون فلا تتحقق المعجزة. ولأنّ الواقع يثبت تحقق الكثير من المعجزات، وتحققها دليل على انسجامها مع قانون العليّة، بالنتيجة أنّ المعجزة منسجمة مع قانون العليّة. وحول علّة المعجزة يقول القديس توما الأكويني: (المعجزة على ما يملأ المرء بالإدهاش وهو أمر له علّة مجهولة للجميع. لكن هذه العلة هي اللّه. ولهذا فإن الأمور التي يصنعها اللّه على نحو خارج عن العلل المعروفة لنا تسمى معجزات. ولتحديد أن العلة الوحيدة للمعجزة هي اللّه، يقول إن المعجزة يجب أن تكون حادثاً يتم خارج نظام الطبيعة المخلوقة كلها، ولهذا يميّز توما تمييزا دقيقا بين المعجزة والعجيبة: فالأولى من فعل اللّه وحده، أما العجائب فقد تكون عللها المباشرة موجودات غير اللّه)[١٠٠].

النتيجة:

من المسائل المهمة التي شغلت عقول المتكلمين والفلاسفة هي مسألة العصمة والمعجزة. ونحن في مبحثنا الأول قد بينا بياناتهم المختلفة حول عصمة الأنبياء((عليهم السلام))، وأثبتنا بالأدلة اليقينية القاطعة (النقلية والعقلية) على أنّ الأنبياء عمداً وسهواً لا يرتكبوا الذنوب الكبيرة والصغيرة، وهم مطهرون عن جميع الذنوب الكبيرة والصغيرة. وعملنا على بيان مؤهلات عصمة الأنبياء((عليهم السلام))، وأنّ هذه العصمة منسجمة مع العدل الإلهي. وبالإضافة إلى ذلك عملنا على بيان ظواهر الآيات الموهمة بمعصية الأنبياء((عليهم السلام))، وبينا أنّها لا تتعارض مع البراهين المسلمة في عصمة الأنبياء((عليهم السلام))، ، وبينا سبب نهي الأئمة الأطهار ((عليهم السلام)) عن تأويل كتاب الله تعالى بحسب ما يظهر لنا منها «وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم»[١٠١]. لنقطع باليقين أنهم لم يعصوا الله أبداً، وأنّهم معصومون من جميع المعاصي كبائرها وصغائرها، عمدا وسهوا وخطأً وتأويلاً، قبل النبوة وبعدها من أوّل العمر إلى آخره. والسبب في ذلك تمتعهم بدرجة عالية من العلم اليقيني القطعي في معرفة حقائق الموجودات خاصة حقيقة الذنب والثواب والعقاب، وحبهم المعبود واستغراقهم في شهود كماله وجماله حتى يصبح كل ما يخالف أمره ورضاه منفوراً لديهم.

وفي مبحثنا الثاني بينا المعجزة التي هي آية من آيات الله، وعلامة من علامات النبوة والاتصال بعالم الوحي، وبينا أنّها عمل خاص بالأنبياء((عليهم السلام)). وهدفها ليس لإثبات النبوة، بل لإثبات حقانية الدين والمعارف التي يعلّمونها للآخرين، وللدفاع عن مصداقيتهم. وخصائصها عمل خارق للعادة، ما وراء القوانين الطبيعية. متزامن مع الإدعاء، وله هدف، ومتطابق مع إرادة ووعد النبي، ومتزامن مع التحدي في مقابل الجميع، وغير قابل للتعليم والتعلم، وغير قابل للتكرار، ومطابق للأعمال العجيبة الغريبة التي يعجز الناس عن القيام بها في زمانه. وبينا أنّ عمل المعجزة يختلف اختلافاً جذرياً مع الأعمال السحرية التي يمكن تعلمها. وبينا أيضاً أنّ عمل المعجزة ينسجم انسجاماً كاملاً مع قانون العلية الحاكم في الكون.

---

[١٠٠] – موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، الناشر: ذوى القربى، قم المقدسة، سنة ١٤٢٩ هـ، ج٢، ص٤٤٩.

[١٠١] –الآية٧ من سورة آل عمران.

المصادر :

١-القرآن الكريم.
٢- ابن سينا الشيخ أبوعلي حسين بن عبدالله، الإشارات والتنبيهات، نشر البلاغة قم المقدسة، ١٩٩٦م.
٣- الأسترآبادي عبدالوهاب، شرح الفصول النصيرية، الناشر: العتبة الحسينية المقدسة (قسم الشؤون الفكرية والثقافية)، كربلاء، ١٤٣٣هـ.
٣-الأصفهاني أبو القاسم الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ١٤١٢ هـ.
٤-الأعرجي عبدالمطلب بن محمد، اشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت، ، الناشر: المركز الدراسي للميراث المكتوب، طهران، سنة ٢٠٠٢م.
٥-الأنصاري ابن منظور ، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم المقدسة، ١٤٠٥هـ.
٦- بدوي عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، الناشر: ذوى القربى، قم المقدسة، سنة ١٤٢٩ هـ.
٧- التفتازاني مسعود بن عمر، شرح المقاصد، الناشر: الشريف الرضي، قم المقدسة، سنة ١٤١٢ هـ.
٨-التهاوني، محمد بن أعلى بن علي، موسوعة كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ١٩٩٦م.
٩-الحاج محمود جاسم بكار الأثر الفلسفي في التفسير، ، الناشر: دار النوادر، دمشق، ١٤٢٩ هـ.
١٠- الحجازي آية الله السيد ابراهيم آيات العقائد، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ١٤٢٤هـ.
١١-الحلي الحسن بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، ١٤١٣هـ.
١٢- الحلي الحسن بن يوسف، معارج الفهم في شرح النظم، ، الناشر: دليل ما ، قم المقدسة، ٢٠٠٧م.
١٣- الخرازي السيد محسن، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤٢٣ هـ.
١٤-دغيم سميح، موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠١م.
١٥- الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس في جواهر القاموس، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٤م.
١٦_ السيوري جمال الدين مقداد بن عبدالله، اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية، ، مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية بقم، قم المقدسة، ٢٠٠١م.
١٧- الشيرازي صدرالدين، تفسير القرآن الكريم، الناشر: بيدار (اليقظة)، قم المقدسة، ١٩٨٧م.
١٨- الشيرازي صدرالدين شرح أصول الكافي، الناشر، وزارة الثقافة والتعليم العالي (مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، طهران، ١٩٨٧.
١٩-الطباطبائي السيد محمد حسين، تفسير الميزان، ، منشورات ذوي القربى ، قم المقدسة، سنة ١٤٣٠ هـ.

٢٠-طباطبائی محمد حسين، نهاية الحكمة، ،الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، سنة ١٤١٦ هـ.

٢١-الطوسی نصير الدين تجريد الإعتقاد، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٢-الطوسي نصير الدين تلخيص المحصل، دار الأضواء،بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٢٣-صليبيا جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية، ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، سنة١٤١٤ هـ.

٢٤-الفخر الرازي محمد بن عمر، المحصل، الناشر: دار الرازي، عمان، سنة ٦٠٦ هـ.

٢٥-المظفر الشيخ محمد رضا، عقائد الإمامية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م- ١٤٢٤ هـ.